العدد 1972 - السنة السابعة
الجمعة 2 ذو الحجة 1435 - الموافق 26 سبتمبر 2014
Friday 26 September 2014 - No.1972 - 7th Year

وثيقة عثمانية تكشف هوية الشاعر الإحسائي مبارك العقيلي

الشاعر الأحسائي مبارك العقيلي

مبارك بن حمد العقيلي أديب وفقيه وشاعر متعدد المواهب ، نظم الشعر الفصيح كما نظم الشعر العامي وهو مجيد في كليهما ولكنه لم ينل من الشهرة ما ناله غيره من الشعراء الذين هم أقل منه معرفة وتجربة ،ولكنه يكاد يكون الشاعر النبطي الوحيد الذي خاطب السلطات العثمانية بصفته شاعر أحسائي كما عرف نفسه في الوثيقة التي نشرها الدكتور سهيل صابان في العدد الثاني من المجلد الحادي عشر لمجلة المخطوطات والنوادر وقد خلد هذا الشاعر اسمه في أرشيف الدولة العثمانية بعدد من الوثائق التي أظهرت شعوره بهموم أمته الإسلامية وحرصه على تاريخها المجيد .

ورغم أن نتاجه الشعري من الكثرة بمكان إلا أن المصادر لم تذكر له إلا عدداً محدوداً من القصائد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة حيث لم يورد له الصويان في (فهرست الشعر النبطي)إلا أربع قصائد بل أن بعض المصادر أخطأت في اسمه حيث أسماه الحاتم في كتابه (عيون من الشعر النبطي) : (حمد بن مبارك العقيلي) ، في حين جمع الإماراتي بلال البدور سنة 1995م ديوان العقيلي النبطي المسمى (كفاية الغريم عن المدامة والنديم) باكورة لسلسلة أدباء الإمارات اعتماداً على مخطوطة بخط الأستاذ محمد بن عبدالرحمن بن حافظ كتبت في 25جمادى الثانية 1358هـ وزاد عليها ما وجده في كتاب حمد خليفة أبوشهاب (تراثنا من الشعر الشعبي) وضمنه شيئاً من سيرته، بعد ذلك بأربع سنوات تقريباً نشر ناصر بن حمد بن عبدالرحمن آل زرعة ديواني العقيلي الفصيح والعامي تحت عنوان (كفاية المرام لأهل الغرام ويليه كفاية الغريم عن المدامة والنديم) حيث أنه حصل على مخطوطة للديوانين فقام بتحقيقهما ونشرهما في سفر واحد، وأنا في يقين أن آل زرعة لم يطلع على كتاب البدور ولم يعلم عنه لأنه ذكر أنه حاول الحصول على سيرة الشاعر ولم تتوفر فلم يمنعه ذلك من إخراج الكتاب ، في حين أن البدور قد تناول سيرة العقيلي وحياته ، وكذلك إبراهيم الخالدي الذي نشر صورة العقيلي في كتابه (المصور البدوي) نقلاً عن أحد المصادر ولكنه أشار إلى عدم عثوره على نماذج من شعره.

على أية حال تكتسب المخطوطة التي أخرجها آل زرعة أهمية خاصة لكون ديوان الشعر العامي فيها كتب بخط الشاعر وذلك في 18رجب 1341هـ كما أن ديوان الفصيح قد قام الشاعر بمراجعته وتعديل أخطاءه . وسنعرض هنا لسيرة هذا الشاعر من خلال ما جاء عند البدور وآل زرعة .

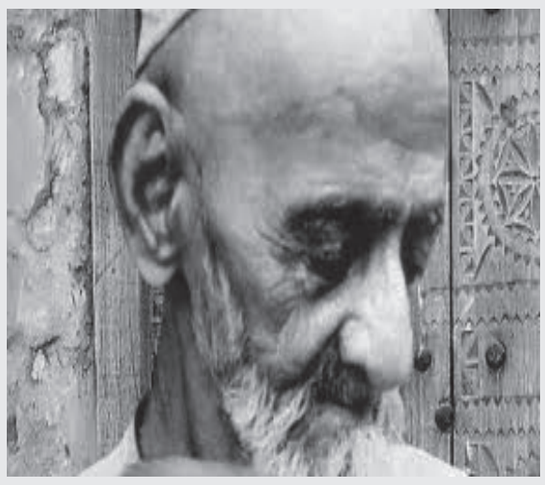

اسمه ونسبه :

هو مبارك بن حمد آل مانع بن عقيل كما كتب بخطه ، وتعود جذوره إلى منطقة الحوطة في جنوب نجد ويرى أحد الكتاب أن آل العقيلي من آل مانع الفرع المعروف سكان بلدة الحلوة من الجبور من بني خالد .

مولده ونشأته :

ولد بالأحساء حيث تزوج والده من إحدى العائلات هناك بعد هجرته من نجد، وكان مولد شاعرنا سنة 1293هـ بدليل قصيدته التي قالها وهو في دبي سنة 1320هـ وفيها :

مضى لي من الأعوام عشرين حجة
وسبع وأنا في منهج الغي مايل

وهناك روايات ترى أنه مَن مواليد 1300هـ .

فهو بهذا يكون قد عاصر عدد من شعراء الأحساء النوابغ كالشاعر محمد بن مسلم الأحسائي وسليم عبدالحي وحسين الصايغ والمغلوث وغيرهم .

توفي والده في عمان إثر سقوطه من جمله ، وكان مبارك صغيراً فكفله الشيخ إبراهيم آل مبارك،فنشأ العقيلي في بيئة علمية حيث كانت الأحساء تشكل مركزاً علمياً ومنبراً ثقافياً في تلك الفترة كما كانت زاخرة بمجالس العلم والأدب وفيها عدد من العلماء الجهابذة والشعراء الأفذاذ، فأخذ العلم عن بعض العلماء في علوم اللغة العربية والتفسير والفقه وخاصة المشايخ من آل مبارك فتمذهب بالمالكية تأثراً بهم وكان طلعة في ثقافته نبيها في تعلمه ذو خط جميل .

سجنه ورحلاته :

وما أن تجلى في ريعان شبابه حتى اتهم زوراً بمناوئة الأتراك في الأحساء ووشي به فأدخل السجن حيث قال :

دخلنا بحبس الترك من غير سبة
نجازى بها والنفس فيها نلومها

وقال في قصيدة أخرى :

هم انكروا دفعي لهم بالمحامات
عنهم والله شاهدي في جدالي

بعد خروجه من السجن رحل من الإحساء إلى العراق وعاش هناك في كنف صالح المنصور أحد أمراء المنتفق ولا يستبعد لقاءه بعلماء العراق وشعرائها واستفادته منهم ،وبعد وفاة المنصور انتقل إلى دبي وكان ذلك قبل عام 1320هـ بيقين وهو في مقتبل شبابه حيث قال :

جيت دبي وأنا صبي
من غير أم وأبٍ

ولكنه بعد ذلك تنقل بين دبي وعمان وأبو ظبي والبحَرين وكذلك الإحساء ومدح بقصائده شيوخ الخليج وارتبط معهم بعلاقات متينة ،ونال حظوة عند سلطان عمان فيصل بن تركي ولكنه ألقى عصا التسيار واستقر أخيراً في دبي بمنطقة الراس بديرة عام 1347هـ واكتسب بعلمه وأدبه مكانة وتقديراً عند آل مكتوم حكام دبي وكان له مجلس معروف يغشاه الأمراء ويرتاده الأدباء والعلماء .

اتجاهاته السياسية :

يعتبر العقيلي من دعاة القومية العربية المرتبطة بالإسلام ، ولذا نجد في الوثيقة التي نشرها الدكتور صابان ذات التصنيف 37/HR.SYS.93 والمؤرخة في 27رجب 1324هـ مدافعته عن مؤسسة الخلافة الإسلامية ومقاومته الشديدة للاستعمار الانجليزي كما أن هذا الخطاب يؤكد أن اتهامه بمناوئة الأتراك وسجنه في الأحساء كان ظالماً .

- لم ينل من الشهرة ما ناله غيره من الشعراء الذين هم أقل منه !!
- صب جام غضبه على بريطانيا واللورد كرزون الذي كان يضع الخطط لاستعمار العالم الإسلامي !
- المصادر لم تذكر له إلا عدد محدود من قصائده !
- رحل من الإحساء إلى العراق وعاش هناك في كنف أحد أمراء المنتفق !

وكان شاعرنا قد كتب هذا الخطاب الذي هو في الأصل خطبة ، أثناء وجوده في أمارة دبي بسبب منشور التقط من الطريق العام في 17 جمادى الثانية 1324هـ بعنوان (بوق من السما) يدعو المسلمين إلى التمرد على الدولة العثمانية ويحرضهم على معاداتها فكان هذا الخطاب رداً عاصفاً صب فيه الشاعر جام غضبه على بريطانيا واللورد كرزون الذي كان يضع الخطط لاستعمار العالم العربي والإسلامي بعد هدم مؤسسة الخلافة .

ولكن بعد تغير الخرائط الجغرافية وسيطرة الملك عبدالعزيز على الأحساء وطرده للأتراك عام 1331هـ انصرف إلى تأييده بقوة وعبر عن مشاعره نحو ذلك بقصيدة أولها :

بدور السنا تزهو بهالة تمامها
وروض العلى فتح بورد أكمامها

ومن ظريف أخباره أنه في سنة 1333هـ وردت إليه الأخبار باختلال الأمن في الإحساء وانقطاع السبل بسبب تمرد إحدى القبائل فعنّ له قول الشاعر :

من لا يجينا والديار مخيفة
لا مرحباً به والديار عوافي

فغادر دبي متجهاً إلى مسقط رأسه الإحساء مروراً بالبحرين فتعطل في البحرين بسبب بعض الأمور والإجراءات واستمر على هذا الوضع لمدة شهرين وكان تحت عناية عبدالله بن حسن القصيبي فقال قصيدة فيه جعلها مدخلاً لمدح الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه وعرض فيها إلى أسباب رحلته وأولها:

يابوحسن جينا من دبي شفقين
مطلوبنا يابوحسن شوف الاوطان

شعره ونتاجه الأدبي :

يتضمن ديوانه النبطي عدد كبير من القصائد يتجاوز الثمانين قصيدة ومع طرقه لجميع البحور والأوزان فهو يميل إلى القصيدة القديمة ذات القافية الواحدة أو البحر الهلالي ويبدع فيه أيما إبداع

- هو من دعاة القومية العربية المرتبطة بالإسلام ! ■ تنقل بين دبي وعمان وأبو ظبي والبحرين !
- هو الخطيب المفوّه الذي لا تلين قناته ولا تفتر لهاته ! ■ عاش وحيداً دون زواج ومات في دبي !!

خاصة إذا ما افتتح قصائده بجملة «قال العقيلي» أو «يقول العقيلي» مثل قوله:

قال العقيلي في قوافٍ أجادها
تنقيتها واتقّنتها في وجادها

وقوله :

يقول العقيلي في بيوت أشادها
وضاحٍ معانيها بيانٍ رشادها

وقوله :

يقول العقيلي في رسوم المثايل
معانٍ يعانيها عديم المثايل

وقوله :

قال العقيلي في تراكيب الإبداعِ
أمثال تطرب في المَلا كل واعي

وقوله :

قال العقيلي والوفا طبع الأحرار
والحر له رعي الجميلات عادي

ويتميز شعره عموماً بجزالة لفظه وعمق معناه وتغلب عليه الحكمة وهو يذكرنا في نهجه هذا بنهج الشاعر راشد الخلاوي وهذه سمة عامة في شعره ، مع العلم أنه طرق أغراض الشعر الأخرى كالمدح الذي شكل عقوداً من قصائده واستغرق مدح الأمراء والحكام الجزء الأكبر منه ، ثم الغزل العفيف الذي يفيض رقة وينساب عذوبة ، ومن الأغراض التي تناولها شعره الشكوى من الزمان وأهله ،وهو شاعر ذو نفس طويل ورغم أن شعره يصطبغ بالجدية والرصانة إلا أن هناك العديد من القصائد والمقطوعات الطربية والأهازيج الإيقاعية والإخوانيات التي تحلو بها مجالس السمر .

وأما في الفصيح الذي تتجاوز قصائد ديوانه السبعين فهو يتكئ فيها على مخزون علمي وخلفية ثقافية واسعة وليس أدل على ذلك من عنوان ديوانه (كفاية المرام لأهل الغرام) مستلهماً التراث العربي ومعتمداً عليه وناهجاً منهج الشعر التقليدي الأصيل الذي برز فيه من مجايليه ابن عثيمين وغيره من الشعراء .

وأما في الخطابة فهو الخطيب المفوّه الذي لا تلين قناته ولا تفتر لهاته نجد ذلك ظاهراً في ثنايا الوثيقة العثمانية التي ذيّلت باسمه والتي يظهر لنا أنها في الأصل خطبة ألقاها في الناس داعياً إياهم للتكاتف والتمسك بالوحدة الإسلامية ونبذ المستعمرين، وهو ما يؤكده زكريا كورشون ومحمد القريني في كتابهما «سواحل نجد(الأحساء) في الإرشيف العثماني» ويظهر أن شاعرنا كتبها بعد ذلك وأرسلها إلى السلطات العثمانية كتعبير عن ولائه بدليل تذييلها بجملة «المحب للدولة والملة»

وفاته :

عاش شاعرنا وحيداً دون زواج ومات رحمه الله عليه في دبي سنة 1374هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

وأخيراً أتمنى أن أكون وفقت في عرض سيرة هذا الشاعر الأحسائي العملاق الذي خفيت سيرته حتى على بعض أهل الأحساء وسيكون لنا في القريب العاجل وقفات مع بعض قصائده الرائعة .

قاسم بن خلف الرويس

مقامان وامرأة واحدة

(1)

بهرب مِن الوقت
ومْن الفصول اللي تبثّ البرد
و احلامي الشّرْد
بهرب مِن ظْلالي : للضيّ من عينك
وما شالت يْدينك
..... مْن الدفا و الورد
ومامرّ في بالي
.. مْن السحب و العشب
ومِن صمتي الضيّق
لاقصى الكلام الرحْب
..... ولْـ صوتك الناي
و مِن كلّ عمري اللي مضى وما مرّ في
عمري :
..... يا عمري الجاي !

(2)

غصْن الحكي يابس ، و لا
حتى البكي بلّه !
و صوتي قصيدة ملح
.....: أقرابها صمت العمُر كله !
... والمس بها هالجرح
حزنٍ عتيق
..... و دمعٍ ثقيـل
ما أقدر أهلّه
وألقى بها كلّ الطريق :
..... ليل
من وين بـ آدلّه ؟
..... ومن وين ابـ آقول ؟
والحنجرة خرسا
.....والذاكرة ضد الذبول
وشلون أنا بنسى
..... أو أقسى يا أيلول ؟

العنود العبدالله